فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر
ولان فائدته ايضا تتعلق بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارى ويجمع همه الى
الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من
كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط
بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت
هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في
العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد
عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر
في المصحف ايضا عبادة وقد خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة
يقرؤون في المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي
رضي الله عنه في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن قراءة القرآن اني لاصلي العتمة واضع
المصحف بين يدي فما اطبقه حتى اصبح
تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير
تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال صلى الله
عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطأت
عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت صوتا احسن منه
فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي
جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا
طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وقال صلى الله عليه
وسلم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه
من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وسلم
الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول
الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه
فقال انت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن
وقد كان عمر يقول لابي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة
ان يتوسط فقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا في صلاة اشارة
الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب
الله تعالى

الله تعالى كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب الله له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع
وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة

وهي عشرة الاول فهم اصل الكلام
ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص
ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري · الاول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى اصل
ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال
معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه فكيف تجلت لهم تلك الصفة
في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله تعالى الا
بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش
ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله تعالى موسى صلى الله
عليه وسلم لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن
تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل
حرف من كلام الله في اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد
ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته
ولكن الله تعالى طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال
معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك
انه دعا بعض الملوك بعض الحكماء الى شريعة بعض الانبياء فسأله الملك عن امور فاجاب
بما يحتمله فهمه فقال الملك ارأيت ما يأتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس من كلام الناس وانه
كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب
والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن
فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز
البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير
والاصوات القريبة من اصواتهم التي يطيقون حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله
بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي يسمعون بها الحكمة خ تواضعوا
كصوت النقر والصفير التي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة
في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان
الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر
تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة
رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل الشاهد المرتضى
يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام